المحاضرة الرابعة: احتياجات التوجيه والإرشاد وفق المجتمعات المعرفية المعاصرة

تمهيد:

إنّ التطورات التي مئت بنية المجتمعات بانتقالها من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي فمجتمع ما بعد الحداثة أو ما يسمى بمجتمع المعرفة، والذي أصبح يُركّز على الاستثمار في المعرفة كأحد أهم مصادر القوة الاقتصادية في المجتمع، زاد من تركيز الاهتمام على الأنظمة التربوية ومختلف عملياتها، مكوناتها، ومخرجاتها.

نظرا لتزايد الطلب الاجتماعي على التعليم في مختلف مستوياته من ناحية ومتطلبات سوق العمل المتزايدة والمتغيرة باستمرار من ناحية أخرى أصبح ميدان التوجيه والإرشاد المدرسي أمام جملة من التحديات التي فرضتها هذه التحولات المصاحبة للمجتمعات المعرفية، وجعلت هذا الميدان أمام احتياجات (Besoins تتطلبها الاستجابة النوعية والفعالة لهذه التحولات.

1. مفهوم مجتمع المعرفة:

يشير مصطلح (مجتمع المعرفة) إلى "المجتمع الذي يؤكّد على أنّ المعرفة قوة، وهو المجتمع الذي يَقُوم على أساس إنتاج المعارف، ومن ثَمّ فإنّ تميُّز مجتمع ما وقُدرته على المنافسة ومواجهة التحديات يعتمد أساسا على إنتاج المعارف" (الصغير، 2005: ص42).

فالمتتبع لواقع المجتمع المعاصر يتبيّن له أنّ إنتاج المعرفة وتحويلها إلى سلعة رابحة، أدى إلى قوّة المجتمعات المنتجة وهذا راجع إلى تبنّيها لمنظومة قيّم قوامها التحرر العقلي والمرونة الفكرية والنظر إلى المعرفة من زوايا متعددة حيث تتضمن المعرفة أبعادا سياسية اجتماعية اقتصادية تربوية وثقافية.

وعليه فإن مجتمع المعرفة هو المجتمع الذي يربط بين المعرفة والاقتصاد باعتبار أن المعرفة ثروة اقتصادية، الأمر الذي أدى إلى ظهور اقتصاد المعرفة الذي يحتل مركزا محوريا في مجتمع المعرفة.

و"يتطلب مجتمع المعرفة إمكانات ومهارات وقدرات فائقة تهيئ الأفراد للتجاوب مع تحدياته المتجددة الأمر الذي يؤكد أهمية نظم التعليم في المجتمع، ومدى تجاوبها لمتطلبات مجتمع المعرفة، وهو ما لا يتأتى إلا من خلال تغييرات جوهرية ونوعية في الممارسات المهنية داخل منظمات التعليم وخارجها، بهدف الارتقاء بمستوى أداء الأفراد في كافة المنظمات، بحيث يمكنها التحول إلى عمليات إنتاج المعارف بدلا من حفظها وهي عمليات تتطلب إدخال تحسينات مستمرة على أنظمة التعليم، بحيث تشمل الأفراد والاستراتيجيات والخطط والممارسات والمباني والأجهزة والأدوات (الصغير، 2005، ص43).

ومن دون شك أن ميدان التوجيه والإرشاد المدرسي واحد من أهم مكونات النظم التربوية المعنية بالاستجابة لمتطلبات مجتمع المعرفة، انطلاقا من الأدوار المنوطة به في تقديم خدمات إرشادية لصالح المتعلمين وتوفير سبل مرافقتهم لمزاولة مسارهم الدراسي بعيدا عن مختلف المشكلات والصعوبات التي من شأنها أن تعترض هذا المسار.

كما أن آليات التوجيه المدرسي لابد وأن تراعي هي الأخرى هذه المتطلبات للوصول إلى خلق مواءمة بين مخرجات النظم التعليمية واحتياجات سوق العمل واحتياجات المجتمعات المعرفية بصورة عامة.

2. احتياجات التوجيه والإرشاد وفق المجتمعات المعرفية المعاصرة:

إن بقاء نظامنا التربوي وأدائه لأدواره بكفاءة في مجتمع المعرفة المعاصر، يتوقف على مدى استجابة هذا النظام لتحولات العصر والتغيرات المتسارعة ومدى تحولها لتصبح مجتمعات للتعلم.

وعلى غرار كافة مكونات العمل التربوي فإن ميدان التوجيه والإرشاد المدرسي مدعو هو الآخر للاستجابة لهذه التحديات ما يجعله أمام جملة من الاحتياجات التي يضمن توفيرها الارتقاء بقدرة هذا الميدان والفاعلين فيه على تحقيق هذه الاستجابة ومن بين أهم هذه الاحتياجات:

- الحاجة إلى دمج التكنولوجيات الحديثة في عمليات التقويم، الإعلام التوجيه والإرشاد المدرسي.
- الحاجة إلى الارتقاء بمستوى أخصائي التوجيه والإرشاد بتوفير فرص متنوعة للتنمية المهنية والعمل المستمر على مسايرة أحدث ما توصلت إليه مجتمعات المعرفة المعاصرة.
- التوجه نحو الإشراك الفعلي لكافة الفاعلين في النظام التربوي في أنشطة وخدمات التوجيه والإرشاد المدرسي (معلمين، إدارة، أولياء) لبناء أدورا تكاملية بين هؤلاء، وتحقيق عملية إرشادية نوعية تراعي كافة جوانب النمو (النفسية، الاجتماعية، العلائقية، والتربوية) لدى المتعلمين.
- الحاجة إلى إعادة النظر في آليات التوجيه المدرسي القائمة لحد الساعة على أسس بدائية لا تراعي متطلبات مجتمع المعرفة، خاصة في الشق ذو العلاقة بتلبية فعلية لرغبات المتعلمين في اختيار المساقات الدراسية التي تتناسب وميولهم، مع الأخذ بعين الاعتبار لقدراتهم وإمكاناتهم الفعلية ومدى قدرتهم على الإيفاء بمتطلبات كل مساق دراسي يتم اختياره.
- الحاجة المستعجلة إلى إدراج المشكلات والتحديات الجديدة لمجتمعات المعرفة المعاصرة ضمن البرامج والخطط الإرشادية وتجاوز المشكلات التقليدية، من عنف وتسرب ورسوب دراسي، للتوجه نحو معالجة مشكلات مثل التوحد الافتراضي، العنف الناتج عن الألعاب الإلكترونية والبرامج التلفزيونية...

لكن تجدر الإشارة إلى أن تحقيق هذه الاحتياجات المتعلقة بميدان التوجيه والإرشاد المدرسي لا يمكن تحقيقها على أرض الواقع بعيدا عن إعادة النظر بصفة كلية في أبعاد النظام التربوي.

الخلاصة:

خلصت المحاضرة إلى أن التحولات نحو مجتمع المعرفة فرضت تحديات جديدة على ميدان التوجيه والإرشاد المدرسي، مما استدعى دمج التكنولوجيا وتطوير الكفاءات المهنية لمستشاري التوجيه.

كما أكدت الحاجة إلى تحديث آليات التوجيه لتتناسب مع احتياجات المتعلمين ومعالجة المشكلات المعاصرة.